لهذه الحركات متشابه بل متطابق : نمو سريع واستقطاب للنخبة الشابة المصابة بخيبة امل محلية او قومية ـــ تمدد باتجاه قطاعات شعبية معينة بفعل تأثيرات خاصة للنخبة لا بفعل وعي هذه القطاعات لمصالحها ، وصول الحركة الثورية الى موقع متقدم من ناحية النفوذ السياسي ، بروز تيارات متصارعة شخصية وشبه ايديولوجية وانتهاء الصراع بالتجزئة والتفتت ، يتلو ذلك طبعا تخبط فكري وسياسي وشعبي يجعل المهمة الاساسية للحركة الدفاع عن وجودها الذاتي لا باعتبارها تيارا بل باعتبارها مجموعة اشخاص ارتبطوا برابطة سياسية معينة ، واخيرا تجد الحركة نفسها عاجزة عن التحرك باتجاه اي هدف سياسي او اجتماعي وفي حالات كثيرة تقع في منزلقات الانحراف التفرقة التي استخدمها الاستعمار . جـ ـــ انقطاع الفلسطينيين عن الممارسة السياسية والسيكلوجية على اعضاء الحركة نفسها وعلى قطاعات واسعة من الجمهور .

وبالنسبة للثورة الفلسطينية بالذات يسهل على المرء ان يتوقع ـــ وقد كان هذا رأيي دائما ـــ ظهور هذه الاعراض المرضية بشكل اعمق بسبب الظروف الخاصة للشعب الفلسطيني . فبالاضافة الى الاطار العام الذي ذكر سابقا يمكن الاشارة الى العوامل التالية : آ ـــ التشتت الفلسطيني وما رافقه من انقسام المجتمع الفلسطيني الى فئات ذات مصالح متباينة تقاطعت مع المصالح الطبقية التقليدية في المجتمع الفلسطيني المتخلف وتداخلت ايضا مع المصالح الطبقية في الاقطار العربية المضيفة . (هذا هو السبب الجوهري من وراء انقسام الحركة الفلسطينية) . ب ـــ ضعف الحركة الوطنية الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨ بسبب حيرتها خلال سنوات الاحتلال البريطاني بين مقارعة السلطة الاستعمارية ومقارعة العدو الاستيطاني الصهيوني وكذلك بسبب وسائل التفرقة التي استخدمها الاستعمار . جـ ـــ انقطاع الفلسطينيين عن الممارسة السياسية بعد ١٩٤٨ بسبب ظروف الحكم في معظم الاقطار العربية وكذلك بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي وضعوا فيها بحيث اتخذت مواجهة هذه الظروف طابعا فرديا واسريا بدلا من ان تأخذ طابعا وطنيا او طبقيا. ومن الملاحظ ان الرجعية العربية بالتعاون مع وكالة هيئة الامم المتحدة كانت دائما حريصة على سد الطريق على اي تحرك فلسطيني جماعي مع أنها استخدمت الافراد الفلسطينيين الى حد بعيد ومنحتهم امتيازات جيدة شريطة ان يتصرفوا كأفراد منسلخين عن قضية شعبهم . د ـــ انقطاع الصلة الحياتية بين فلسطينيي المنفى وحدة الاجراءات التي ضربت حول تحرك الفلسطينيين من قطر عربي الى اخر ، مما اسهم في خلق زوايا نظرة متعددة الى القضية الفلسطينية . هـ ـــ تحسب الرجعية العربية المتحالفة مع المصالح الاستعمارية وخوفها المستمر من نمو حركة فلسطينية صحيحة يمكن ان تقدح الشرارة القادرة على اشعال المنطقة بأسرها .

يضاف الى ذلك جملة من الاسباب الاخرى الاقل أهمية ، وبالفعل ظهرت أعراض المرض الثوري على الحركة الفلسطينية مبكرة جدا وتطورت هذه الاعراض بسرعة غير طبيعية . ويمكن تلخيص جميع هذه الاعراض بمرض سياسي ظهر جليا بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وهو العجز الفادح عن تحويل النمو الكمي التراكمي الى تعادل نوعي موجه باتجاه الهدف الاستراتيجي . ففي مدى عامين فقط بعد حرب ١٩٦٧ ارتفع عدد العاملين في العمل السياسي والاداري في الثورة الفلسطينية ثلاثين ضعفا على الاقل، اما في المجال العسكري فقد نمت قوات الثورة بمقدار مئة ضعف كتقدير مبدئي ، ومن الناحية المالية والتسليحية لا مجال للمقارنة مطلقا وربما كانت نسبة النمو في حدود ١/٣٠٠ .

ومقابل هذا النمو الكمي كانت الثورة تتخبط سياسيا على جميع المستويات : فعلى المستوى الداخلي كانت التوعية السياسية تحتل اخر الاهتمامات ، وفي الحالات الاستثنائية التي جرى فيها الاهتمام بالتوعية السياسية انحرفت هذه التوعية باتجاه الشحن الانفعالي والايديولوجي غالبا ضد تيارات سياسية منافسة ضمن الحركة